الكاهن

او

انتقام شريف

رواية تمثيلية ، ذات مقدّمة وثلاثة فصول

بقلم الخوري مارون غصن (تتمّة)

الفصل الثالث

العدل والغفران

ردهة فاخرة ، على الطراز الهندي – رواق في مؤخرها – الى اليمين نافذة مستورة بستار كبير – الى اليسار اريكة (ديوان) .

المشهد الاول

عند رفع الستار يدخل ضابطان ، يتبعهما برهمي

الضابط الاول : أدخل ، يا مولاي ، وتفضّل بالجلوس (يشير الى الاريكة)

البرهمي : أتدري لِمَ يدعوني الامير اليه ؟

الضابط الاول : تقدّمَ الامير إليّ بأن أصعد بك الى هذه الردهة في قصره ... وهو يبغي استشارتك في أمر خطير ... تعلمُ أنّ الافرنجي قد قُبض عليه في كوخ أحد أشياعه ؛ فاختارك الامير لتسمع الحكم الذي سيُصدره عليه وتُثبته .

البرهمي : ان الآلهة — ولا ريب — سترضى عن الانتقام ممن تجرّأ على

إهانتها . واني لشاكر اولاي الامير ثقتهُ بي

الضابط الاول والثاني : جيئوا بالأمير

(يدخل اوليفيه مقيد اليدين وراء ظهره ، وهو شامخٌ بأنفه ، لا يبالي ، وينظر متثبتاً ما حوله)

المشهد الثاني

الضابطان — البرمي — اوليفيه

اوليفيه : ما عساهم أن يريدوا مني ايضاً ؟ . . . ولِمَ هذه الاستعدادات . . . وهذه الأبهة ؟ (يخاطبهم) أفي نيتكم ان تقضوا عليَّ ؟ . . . او ان تعفوا عني ؟ . . . ما غايتكم ؟ انا لا اتوقع من فظاظتكم عدلاً ولا رحمة ؛ فاي عذاب قد استبطتم لتعذيبي !

(يدخل الامير من الرواق الداخلي ووراءه حشم ، عليهم الملابس الفاخرة) .

الامير : مهلاً ! ستطلع عليه !

اوليفيه (هازئاً) : اذن انت تشفع اثري . . . (بجزم) انا الآن امامك أعزل . . . فهل لك ان تكفَّ عن تقريعي ؟ !

الامير : انت مخطئٌ في ظنك . . . ما جئتُ استذلُّكَ ، وانت أسير . . . لقد تجرأتَ على الاسد ، فوقعت في عرينه ، فلم يبق امامك الَّا الموت !

اوليفيه (باحتقار) : ومن حكم عليَّ ؟

الامير : حكمت عليك محكمةُ القويّ على الضعيف

اوليفية (يتقدم بجرأة) : هوذا صدري ؛ فاطعن !

الامير : لديَّ جلَّادون

اوليفيه : يا لك من بربري !

الأمير (بسكون) : بربري ! تلك اكبر اهانة يُهينا بها الرجلُ المتمدّن . . أتحسبك ، متى تلفظتَ بهذه الكلمة ، أنك قد قلت جميع ما تودُّ أن تقول . هذي مرّةٌ ثانية ترشقني فيها بهذه الكلمة الجارحة ؛ وهذا هو السبب الذي من أجله

أردتُ أن أجعلك تحت سلطتي ... وها قد أصبح الآن كلٌ منّا إزاء الآخر ، يا أوليفيه سنبتون ... ها هو التمدن ، امام البربرية !

اوليفيه : تقول قد حُكم عليّ حُكماً ... مُبرَماً ... فما نتيجة كلّ هذا الكلام ؟

الامير : لو كنتَ بربرياً مثلي ، لما تأخرتُ الى الآن عن سفك دمك ، بل كنتُ قتلتك في الحال ! انتم ، المتمدّنين ، تجزعون المحكوم عليه كأس العذاب حتى الحثالة ... أمّا أنا ، فأرى ان موتك لا يشفي غُلّتي ... فلا بدّ من تجريعك عذاب النزاع طويلاً .

اوليفيه : اذن انت تملّ النفس بان ترى نزاعي يطول ؟ فما هذا عدلاً ، بل انتقام ... عجّل ، يا راوو سنجور ، عجّل واحترّ عنّي !

الامير : ألا تأسف على ما كان منك ؟

اوليفيه : وما يهمّك أسفي ؟ !

الامير : ان الموت في ساحة القتال ... تحت عين الشمس ... بين قعقعة السلاح ... وهتاف الظفر ... هو نصيب الجنديّ البطل ... وانّ إغماض الجفون ، في مساء يوم سعيد ، بين الاهل والأصدقاء ... دون خوف ولا اضطراب ... هو موت الصالح البارّ ، أمّا انتظارُ عذابٍ تُعدُّ آلاته على مهل ... وبسط النطع ، وهياج الجلّادين لتنفيذ الحكم ...

اوليفيه (يقطع عليه الكلام) : أو تحسبُ ، يا راوو سنجور ، انك تخيفني بما تقول ؟ ... تفرّس في وجهي ، فترى خيبة ظنك !

الامير : انا عارفٌ أنك قد تعوّدت اقتحام المخاطر .

اوليفيه : ما تعني بهذا ؟ ... أفصح ... اذا كنت تشاء ان تشفي الغليل ، فنادِ جلّاديك ... فأنا مستعدّ .

الامير : مستعدٌ انت ، يا اوليفيه سنبتون ؟ اذن تحسبُ نفسك رجلاً باسلاً ... وقد طالما حاولتَ ان تُريَني منك عزماً أشدّ من عزمي : فها انا أقيسُ قوّة نفسك (هازئاً) وأرفع ذاتي واقطاول حتى اصل الى مستوى بسالتك ... العالية . (يهزّ اوليفيه كتفيه باحتقار) — (يشير الامير الى الضابطين ، فيفكّان قيوده)

اوليڤيه سيبتون . . . أمامك من الحياة ليلةٌ واحدة . . وأنا لا أزجُّ بك في سجن . . بل اجعلك في هذه الرَّدهة . . . ردهة لا ينقصها شيءٌ من الأُبَّهة التي تعوَّدتها . . . سجنُ ماوك ، تلبث فيه حتى الصباح .

اوليڤيه (ينظر الى الامير باحتقار ، ثم يذهب فيجلس على الاريكة)

الامير : أجل ! تلبثُ وحدك في سكون هذا الليل المهيب . . . ولكن ، مهما أصمتَ أُذنيك ، فستسمع صوتاً يطنُّ في مسمعيك . . . صوتاً يقذف الذُّعر في حشاك ، فتضطرب اضطراباً . . . ذاك الصوتُ ، هو صوتُ ضميرك ! . . . ستمرُّ أمام عينيك كلُّ اعمال حياتك ، كلها . . . كلُّها . . . وربَّما انتصبت أمامك خيالاتُ ، وأشباحٌ ، ورؤى . . . (اوليڤيه يخفض رأسه مضطرباً) . أجل ! طأطئ الرأس ، طأطئهُ ! . . . في عينيك ما يؤذن بانك انت من الذين افسدوا اوطانهم بالمعاصي ، فطُردوا منها طردًا ! . . . أجل ! ظني هذا ثابت ، لا مجازَ الى الشكّ فيه !

اوليڤيه : منذ حين ، كان كلامك عدلاً ، وصوتُك رزيناً ، ساكناً . . . أما الآن ، فارى انَّ السُّخط قد بلغ منك . انت الان تتهضَّمُ ، وتتنغَّصُ عدوًّا مغلوباً على امره ؛ فها انا اعودُ أراك بريئاً قاسياً ؛ واني لاوثر ان اراك على هذه الحال ؛ فسِرْ في كلامك !

الامير : غدًا ، عند بزوغ الفجر ، اعود اليك . وان كنت رجلاً حقًّا ، رأيتك خاضعاً للموت ، منقادًا . . . أما اذا كنتَ لصًّا دنيئاً ، فلا تتوقَّعْ ان ترى وجهي .

اوليڤيه : ماذا تُريد بما تقول ؟

الامير (يفتح النافذة بتراخٍ) : تفرَّسْ . . . انَّ هذا الحصن مرتفعٌ جدًّا ، وهو يُطلُّ على هوَّة هائلة . . . فاذا وثبتَ منهُ ، تحطَّم جسدُك على الصخور . . . فثبْ من هنا ، ان استطعتَ . (يتجه الى اليسار) وهنا امامك آلاتُ سلاح ؛ فاختر منها ما شئت .

اوليڤيه : تظنُّ ، يا راوو سنجور ، انك قد استدركت كلَّ أمر ؟ وانك جشَّمتني ما لا أُطيق ؟ ضلَّ عقلك ، وخاب ظنُّك ! فانا لا أخاف عذاباً ، ولا تهديدًا ، ولا توبيخَ ضمير ؛ بل أسعى الى النجاة بصلابة حزمي ! وما من شيء يبلبلُ بالي ! فلا ازال ، الى آخر نسمة من الحياة ، معتصماً بصخر ارادتي ، وجبَل جأشي .

الامير (هازًّا كتفيه) : متكبّرٌ، متغطرس ! (حركة في الخارج — يدخل ضابط حاملًا مرفقةً عليها رسالة يقدّمها للامير جاثيًا)

الضابط : مولاي الامير.

الامير : ما هذه الرسالة ؟ (يفضّها ويقرأها، فيمزّقها مغضبًا) جسارةٌ وقحة ! يعرضون عليّ فديتك ! يحاولون ابتياع حياتك مني ! حمقى، ابناء قوم جاهلين ألا فليعلموا أنّ لا قيمة للمال عندي، فانما أريد اذلالك والحطّ من كبريائك ! . . . (للضابط) من الذي يعرض عليّ هذا ؟

الضابط : هو، يا مولاي، رجلٌ من الافرنج، قُبض عليه في كوخ أجنبه ماهال.

الامير : اين هو الآن ؟

الضابط : في ساحة القصر.

الامير : عليّ به. (للبرهمي) تعال . . . بعد قليل أعود اليك، يا اوليفيه سنتمتون. سيروا بنا. (يتبعه الجميع — اوليفيه ينظر الى الامير وهو خارج — صمت — يتقدّم اوليفيه الى مقدّم المسرح، ثم يستلقي على الاريكة).

المشهد الثالث

اوليفيه وحده

اوليفيه : قُضي الامر . . . وانقطع كل أمل . . . آه ! اذن لا تستطيع الايدي المخضّبة بالدماء ان تُشيّد سعادةً ثابتة ! أجل ! لم يبقَ من رجاء ! (صمت) بلى ! فلأدافعنّ عن نفسي، ما اختلجت فيّ حياة ! . . . ليس إلا سبيلٌ واحد: الجهاد ! الجهادُ الدائم ! ما من وسيلة الّا السعي وراء النجاة من هذا المكان. لنرَ ! (يسرع الى النافذة) آه ! ما غشني في ما قال . . . هوّة مخيفةٌ هائلة . . . (يرجع مسرعًا) ما الحيلة ؟ ما العمل ؟ آه ! (يُسرع الى الباب الذي في مؤخّر المسرح، وينصت) . . . وَطء خُطى مُنتظمة . . . هي خُطى الحرس في هذا الدهليز. (يتناول خنجرًا من الاسلحة المعلّقة في الجدار) خنجر عريض المضرب، ماضي الشفرة . . . لأنتظرنّ هنا، حتى، اذا فُتح هذا الباب، طعنتُ أوّل داخل، وهجمتُ الى الامام، وجندلتُ

كلّ من يعرض لي ، حتى أنجوَ أو أجندَل ! (يقف الى جانب الباب — حركة في الخارج) آه ! أتوا ! . . . الويلُ ، الويل ! (يُفتح البـاب — يهجم اوليفيه ، فيرى جوفروا ، فيرجع مضطرباً) جوفروا ! . . . انّـه هو ، ! (يتجـه الى الاريكة ويستلقي عليها ، والخنجر بيده) .

المشهد الرابع

اوليفيه — جوفروا

جوفروا (متجهاً الى اوليفيه) : ويحك ، يا تعس ! على ما كنت قد عوّلت؟

اوليفيه : ما اتى بك ؟ ما تريد ؟

جوفروا : أريد ان أُنقذك ، او اموت معك !

اوليفيه : أنت ؟ !

جوفروا : نعم ، يا اوليفيه ! ما بلغني الخطرُ الذي انت فيه ، حتى اسرعتُ ، وانا آملٌ ان لمعانَ الذهب يُوقف الامير عن عزمه ، فأتيت . . .

اوليفيه (يقطع عليه الكلام) : ان راوو سنجور لا يُعيدني الى اهلي الّا شلوًا مقطّعاً . لو علمتَ ما جُبل عليه هولاء البرابرة من الحقد ، لما غرّرتَ بنفسك !

جوفروا : اتخلّى عنك ؟ . . . انا ؟ . . . لا ، فقد عاهدت النفس ان اكون حيث يكون المتألون . . .

اوليفيه (هازئاً) : نعم . . . حسبتَ انّ ثوبك يكون لي حمىً . . . وانْ لا خوف عليك في تعرُّضك لسخط عدوّي ! أوَ تظنّني أغترُّ بذلك ؟ . . . قد حاول راوو سنجور ان يُخمد غيرتي ويفتّ في عضُـدي ، فأخنق . وها هو يستعين بسلاح مسموم ، ليُطيل عذابي ونزاعي . . . وهذا السلاح قد جعلتهُ انت في يده ، أنت !

جوفروا : انا ؟ !

اوليفيه (ساخطاً) : أجل ! قد تمكّن اخيرًا من الحصول على هذا السلاح الذي كان ينقصه ! . . . فاستبشرَ وأرسل إليّ الرجل الوحيد الذي يستطيع ان يخيفني ينتصر عليّ . . . فجعلك معي في سجني ، انت ، ايها الكاهن ! (ساخرًا) لا ريب انك قد اعددت عظتك ! فهات ! تكلّم ! فانا أُصغي اليك . . .

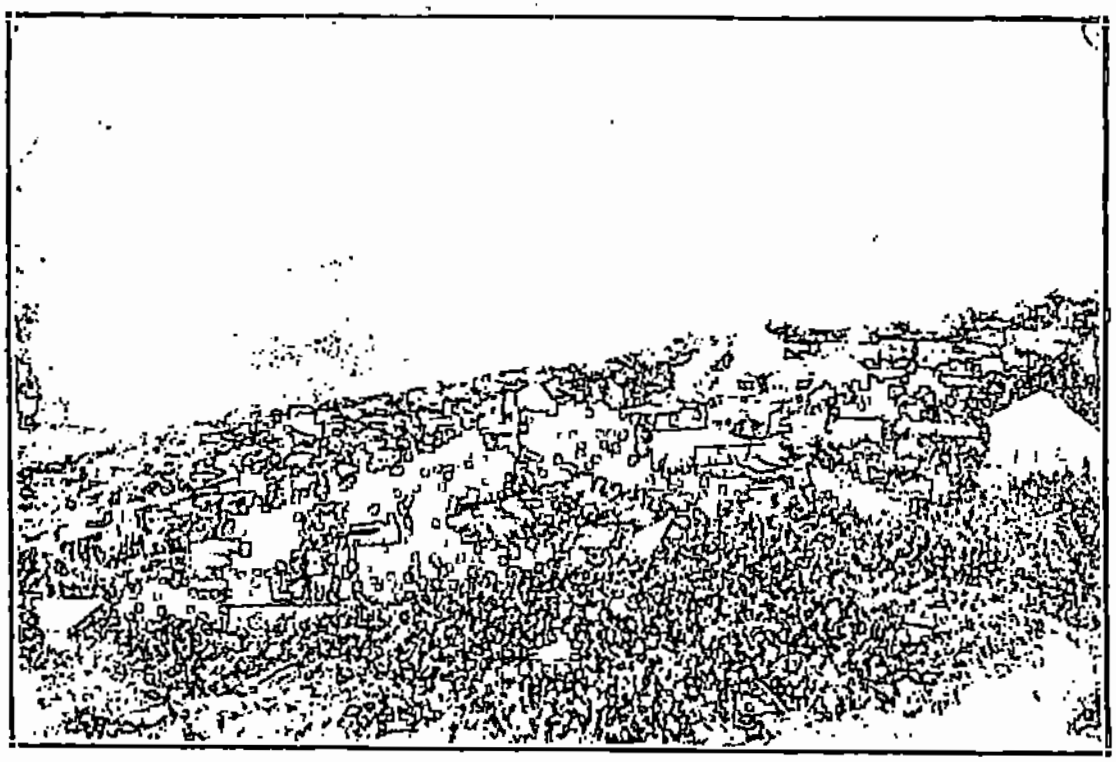

قصبة قرطبا

جوفروا : لا افهم ما تقول ... لم يتنازل الامير المندي الى مكالمتي ، ولا اصغى اليّ ، بل رشقني بنظرة غضب ، وأمرَ ... فأصعدوني الى قمة هذا القصر .. وفتحوا باباً ودفعوني الى الداخل ... فلقيتك ، والخنجرُ في يدك ، فظننتُ ان اليأس حملك على الانتحار ، فامسكتُ يدك عنه ... ولا علمَ لي بغير ذلك .

اوليفيه : اذن انا أُطلعُك على الباقي : قد تسلّحتُ بهذا الخنجر ، ووقفت وراء الباب ، أترصّد ، وانا عازمٌ ان أجندل كلَّ من يقف في سبيل فراري . (ينهض) وكنتُ واثقاً بالنجاة ، فاذا انت داخلٌ عليَّ ! ... أجل ، كنت انتظر درع جنديّ ، فاذا انا امام ثوب كاهن ... وبدلاً من عدوّ شاكي السلاح ... ظهر وجهك الشاحب ... ألا ان صداقتك الشؤمى ...

جوفروا (يقطع عليه الكلام) : أوليفيه ، اراك في حالة تكادُ تخفى فيها عليَّ .

اوليفيه (منضباً) : انت جلّادُ النفس ! انت أشدُّ هولاً من كلّ جلّادٍ شاكي السلاح ! آه ! هو القضاء جعلني أرزحُ تحته !

جوفروا (بانعطاف) : صديقي اوليفيه ! سألتك باعزّ شيء لديك ، ان تُصغي اليَّ !

اوليفيه : كنتُ ظانّاً اني ما عدتُ اراك ابداً ... فساقك القدرُ اليَّ ؛ فماذا تريد ان تصنع ؟ (يجلس وينظر الى جوفروا بهيئة ساخر) .

جوفروا : أريد ان اتدرّع بكلّ ما عندنا من قوة وحزم ! أشاء ان نتوسّل بكل الوسائل للنجاة من هنا !

اوليفيه (مُدهَشاً) : أحقاً تقول ؟

جوفروا : نعم ! وهل في كلامي شكّ ؟ ! أجل ! لا شيء يدعونا الى التضحية بحياتنا ارضاء لسخط الساخطين !

اوليفيه : عجباً ! حسبتك تعظني بالاستسلام ... فأنا لا اكتمك اني أوثر الحياة في الدنيا على الحياة في الاخرى .

جوفروا (يكون قد اتجه الى النافذة ، فلا يسمع العبارة الاخيرة) : هوّة هائلة ! فمن هنا لا نجاة . (يُسرع الى مؤخّر المسرح) هنا المجاز الوحيد .

اوليفيه : مجازٌ وحيد!... لكنّ الحرس عليه ساهرون! (بغضب) ماذا اتيت تطلب في هذا المكان؟!... من دعاك؟ ما انت الّا بريدُ الشؤم!... من هذا المجاز كنتُ عازماً على الفرار، فانجو او اقتل... فظهرتَ لي.. فاحجمتُ.. انت تعرقل مسعاي... وتجرُّني الى الهلاك!

جوفروا (حزيناً، متردّداً) : آه! لو تدري ما لك في قلبي من الحبّ والاخلاص، لعدلت عن تعنيفي... اوليفيه، انا احترم فيك ذكرى ابي... فاذا كنتَ قد امسيت على حافة الهلاك، فاسألك بحقّ صداقتك لابي، ان لا تقضي دقائقك الاخيرة، بين الشتائم والبغضاء! بارك الربّ الذي ارسلني اليك!

اوليفيه : ماذا؟! أبارك الربّ الذي ارسلك اليّ؟!

جوفروا : ايُّ منفعة لك في السخط على ما قسمهُ الله؟ اراك تنوء تحت أحمال الاسى... فانهض! وهيّا نتعلّم الاحتمال! نحن على ابواب الابدية؛ فهيّا نحني الرأس تحت يد العناية الالهية.

اوليفيه (ساخراً) : العناية الالهية؟... اليك عن هذه الاوهام! ما شأنُ العناية الالهية في ما نحن فيه؟ وماذا تعمل الآن عنايةُ إلهك؟! لقد اوقعتك، انت الرجل البارّ، في مثل ما اوقعتني فيه... ان المِقحام الذي تعوّد خوض الاخطار... (يتوقّف مرتعداً مما ازمع ان يقول).

جوفروا : لا تشكُّ من العناية الالهية، ولا تتذمّر... فهي التي اوصلتني اليك لاحمل اليك النجاة او الرجاء والسلوى.

اوليفيه (ساخطاً، متشيّاً، مضطرباً) : صهْ!... اني عن تعزيتك لفي غنًى... انّ حنانك يملأني خجلاً... فلا تردّ على ما قلت... ان وداعتك الكهنوتية توقد في صدري نار السخط... وكلما زدتَ استسلاماً لعناية إلهك، يزدادُ هياجي وعجزي!

جوفروا (مستشيطاً) آه! الآن شعرتُ بما في صدرك... انّ فيه اضطراباً وخوفاً... هو ضميرك يحاربك وينهشك... وانت تقول: «لا أريد!» وانا! بقوة من العلاء اقول لك: أريد، نعم أريدُ انقاذك وخلاصك!

اوليفيه (بسخط عظيم) : اليك عني! توارَ؛ والّا!... حذارِ، حذارِ

ان تعود تفتح فاك ، فاني ما عدت أملكُ النفس عنك ! لا سبيل لي الّا الهرب من وجهك ! (يركض الى الباب) هذا الباب . . . وراءهُ الحق والموت . (يثب الى النافذة) من هنا . . . من هنا اشكُ الحنجر بين الصخور واستعين به على النزول . . .

جوفروا (يرتعد من مخاطرة اوليفيه بنفسه ، ويتكئ على الاريكة ويضمّ يديه ويهتف من اعماق قلبه) : الهي ! الهي ! الهي !

اوليفيه (بينما هو يحاول النزول من النافذة ، يرجع فجأة مضطرباً) : ماذا اسمع ؟ . . ماذا قال ؟ . . هل عادت الاموات ؟ . . كاني سمعت صوت ذاك ! فاني حين طعنتهُ ، صاح ايضاً : الهي ! الهي ! الهي ! (يرتجف ويُسند ظهرهُ الى الجدار ، جهة اليسار) .

جوفروا (آتياً اليه) : ما بك . . . يا صديقي العزيز . . . ان هوسك يُصدّع قلبي . . . ماذا دهاك ؟

اوليفيه : انا . . . لا شي . . . لا شي . . .

جوفروا : ماذا تُنكر عليَّ ؟ هل لي اليك إساءة ؟

اوليفيه : لا ! لا !

جوفروا : أما انا صديقك . . . بل ألستُ كولدك ؟ . . .

اوليفيه (ينتفض بشدّة ، ويذهب الى الجهة المقابلة) : اليك عن هذا ! أتحسبني صديقاً لك ؟ (راجعاً الى جوفروا) انا امقتك مقتاً . . . أسامع انت ؟ . . . اكرهك لانك صالح . . . نعم اكرهك !

جوفروا : وانا ! أردُّك ، وأحبُّك ، وأرثي لحالك !

اوليفيه (بغضب شديد) : لا ! لا ! (يضرب صدره) انت غيرُ عارف سبباً في هذا الصدر من البغض . . . لك . . . ولكلّ من دُعي تريعادان !

جوفروا : أبي ! أبي !

اوليفيه (هائجاً) : ابوه ! ابوه !

جوفروا (مُلحّاً عليه) : ألا تُصيخ لي الآن ؟ ألا تُصيخ ؟ . . . ان هذا الاسم يذكّرك تذكارات عديدة . ابي كان يحبّك . . . أواه ! انا ذاكرُ تلك الدقائق الاخيرة . . . وغيرُ ناسٍ حنانك ، في غد ذلك اليوم المشؤوم ، حين عانقتني وضممتني

الى صدرك، انا اليتيم المسكين... جميع هذه التذكارات تهزُّ الآن قلبي... في ذلك الحين، هجرتُ وطني، واهلي... والآن بعد خمس عشرة سنة، قيّض الله لي ان أراك، انت ابي الثاني، وتدنو مني عنك؟ (يضطرب اوليفيه) آه! لا تردَّ يدًا أمدُّها لمصافحتك! (بجزم) اوليفيه، قد شعرتُ بما انت فيه: إنّ في ضميرك جرحًا يسيل.. نعم، انت تُخفي في طيات نفسك ألمًا... حسرةً... أظنُّها مسبَّبة عن ذنب!

اوليفيه : ذنب؟! انا؟!

جوفروا : نعم! وقد قرأت ذلك في عينيك... انت ريشةٌ في مهبّ الرياح... وربّما أدّى بك ذلك الى خسارة الضمير. هيّا! تشجّع! انت الآن على شفا الموت؛ فافتح لي قلبك. اركع، فتنهض مطمئنًا قويًّا.

اوليفيه : انا اجثو بين يديك؟! انا؟!

جوفروا : في ميادين القتال، في ساحات الشرف، ايام كان آباؤنا الامجاد يضحّون بدمائهم في سبيل انشاء الوطن، ما كان الابطال يخجلون من الاقرار بذنوبهم، حتى الى آبائهم بالسلاح... ثم كانوا يموتون، وعيونهم ناظرة الى السماء، وايديهم على مقابض سيوفهم..... أوليفيه، انا اليوم مستعدٌّ لسماع اعترافك.

اوليفيه (بعنف) : ولكن ألا ترتاع من سماع أهوالٍ يشيبُ لها قلبك في صدرك؟... أتحسبُ أنك واجدٌ في قلبك مغفرة لأفظع الجرائم وأشدّها هولًا؟

جوفروا : أنا مُصغٍ اليك بلا وجل؛ فقل ولا تخشَ... إني عبدٌ لسيّد الرأفة والحنان؛ فهما يكن شأن الخاطئ الآتي إليّ، فلا استطيع الّا أن أغفر له، وأصلّي من أجله.

اوليفيه (بخشونة) : أنت، من خمس عشرة سنة، تمزج في صلاتك ذكرَ أبيك بذكر قاتله...

جوفروا : يا للذكر الهائل! (صمت) الهي! ابي! آه! أرَ استطيع أن أنسى...

اوليفيه (بابتسامة ساخرة) : اذن لم يمرَّ ذكر الثغران قطُّ بقلبك! أهذا هو منطق الكهنة أمثالك؟

جوفروا : إنك تقاسي القلب... أسرعتُ اليك بفؤادٍ مملوء حنانًا ورأفة؛

وأنا في أشدّ الاخطار ، أسعى خلاصك ! وأنت تسخر بي وتهزأ . . . أنا أصلي من اجلك ، وأنت تزدرق حشاي . . . أحبُّك ، وتبغضني . . . اوليڤيه ، بماذا أسأتُ اليك ، حتى تسومني أشدّ عذاب ؟ . . .

اوليڤيه (ساخرًا) : آه ! . . . آه . . .

جوفروا : فضلًا عن أنّ ذاك الشقيّ قد كفّر عن جرمه . . . وتقدّم من الموت نادماً ، باكياً ! . . . وقد غفر الله له ، وأنا ايضاً غفرت .

اوليڤيه : غفرتَ ؟ لمن ؟ لذاك القرويّ يورني ؟ (بغلظة وسخريّة) انه لدريء مما عُزي اليه !

جوفروا : يريْ ؟ يريْ ؟ . . . لا ! يا للهول ! أنت تريد أن تقذف الذعر في قلبي . . . اليكَ ، اليك عن هذا !

اوليڤيه : قلت لك الحق . ليس القرويُّ يورني بقاتل المركيز دي تريادان .

جوفروا : ماذا ؟ أما وجدوا قبعتهُ ، وحذاءه ، وثوبه ماطخاً بالدم ؟

اوليڤيه : كان الجاني قد أعدّ كل ما يلزم لإبعاد الشبهة عنه .

جوفروا : اذن هذا هو السرُّ الذي كانت نفسك نازحةً تحته ! هذا الشقيّ تعرفهُ أنت ؟

اوليڤيه (بسرعة) : أعرفه .

جوفروا : أحيٌّ هو ؟

اوليڤيه : حيّ .

جوفروا : حيّ ! ومن هو ؟ قُل !

اوليڤيه (ماذًا صوته) : لا !

جوفروا (متألمًا) : آه !

اوليڤيه : أراكَ عُدتَ أنساناً ، يا جوفروا دي تريادان ، وها قد استولى الغضب عليك ، فاستغثْ بإلهك ، ناده لمونتك . . . فلعله يستجيب !

جوفروا : ما اسم الرجل ؟ ما اسمه ؟

اوليڤيه : هل تغفر له ؟

جوفروا : اذا كان نادماً ، فالله يغفر له .

اوليفيه : هذا الاسم يملأ صدرك رعباً ... هـذا الاسم ، أبوك ، وهو يجودُ بروحه ، كرّره ثلاث مرات ...

جوفروا : نورير !!! ... يا للهول ! ربّاه ! ربّاه ! أشفق عليّ !

اوليفيه (ساخراً بارداً) : اغفر الآن ! ...

جوفروا : نورير ! ... اسمُ من كنت أعزّه ! ... هذا محال ! ... أن أغفر ؟ آه ! ضاع رشدي ! (مسرعاً الى اوليفيه) ويلك !

المشهد الخامس

(يدخل الامير ويتوقّف عند الباب)

جوفروا (يتوقّف في وسط المثل ، ورأسه بين يديه ... وعقله تائه ... ثم يلتفت فجأةً الى الامير ويجثو مشيراً بيده الى اوليفيه ويقول) : مولاي ، اعفُ عن هذا الرجل !

اوليفيه (مُدهَشاً ، مبهوتاً) ماذا أسمع ؟

الامير : أعفو ... عنه ؟

جوفروا (يستمرّ جاثياً) : نعم ! أنا على قدميك منطرح ، يا مولاي ، فجُد عليه بالعفو والسماح ! واذا كان لا بدَّ من ضحيّة ، فهانذا ، واعفُ عنه !

اوليفيه : آه ! (يستند الى أحد أعمدة الردهة) .

الامير : أن أعفوَ عن اوليفيه سمبتون ؟ ... ايها الكاهن ؟ .. أنت تطلب المحال ... قد أمضيتُ الحكم بالموت ، فلا تحاول إلانة قلبي . قد حكمتُ ولا رجوع ! ... كلُّ شيء مُعدٌّ في القرفة المجاورة ... اوليفيه سمبتون ، حانَ أجلك ، فتهيّأ !

(يخرج الامير — اوليفيه يستمرّ راكزاً ، مستنداً على العمود) .

جوفروا (يدنو منه) : اوليفيه ، قد بذلتُ جهدي لانقاذك ...

اوليفيه (كأنه ضائع) : لا تدنُ مني ... تباعد ...

جوفروا : اسألك الصفح عن تردُّدي لحظةً في المغفرة ... فقد خانتني القوّة

وهاج الحنان البنويّ في قلبي . . . لكنّ ربّي جاد بالنعمة عليّ !

اوليفيه : أنا أصفح عنك ؟ أنا ؟ ويلي ! أنا أرشّ وجهك بالشتم . . . وانت . . . لا ، هذا محال . . . لا تدنُ مني .

جوفروا : اوليفيه ! . . . (يأخذه بيده) أخي !

اوليفيه : أنا ! أخوك ! . . . (متأثراً جداً) .

جوفروا (بغاية التأثر) : آه ! بحقك ! قلْ ، قلْ تلك الكلمة . . . قلها . . . فتخلص ! ليصرخ قلبك نحو السماء ويهتف : « ربّاه ! » فتأتيك المغفرة !

اوليفيه (يجثو مضطرباً) : آه ! غلبتُ ! ربّاه !

جوفروا (يرفع عينيه الى السماء) . . . لك الشكر ! نجا !

المشهد السادس

يدخل الامير وحاشيته — ايڤون وموريس

الامير (مشيراً الى اوليفيه) : الى الموت !

اوليفيه (ينهض بثبات جأش) : هيّا !

موريس : آه ، ياسيدي اوليفيه ! . . .

ايڤون : وا سيّداه !

اوليفيه : ايها الاصدقاء ، صلّوا من أجل مَنْ هو الى الموت ذاهب . (يسكون) هيّا ! هيّا !

جوفروا : أنا أرافقك . (يخرجون)

الامير (مُدهَشاً) : هل نظرتَ الى وجهه ؟

البرهمي : عجباً من تغيّره !

الامير : تُرى ما سبب ذلك ؟ . . . منذ حين ، كنت أرى في عينيه يأساً يمزّق نفسه ؛ فكيف استطاع هذا الكاهنُ المسيحيُّ ان يُغيّرهُ هذا التغيير ؟ ! لقد

شاهدت ضياء السعادة على ذلك الجبين الذي لم أرَ عليه ، من ذي قبل ، الّا الكبرياء والجزع !

جينور : ما يكون هذا الدين السامي ، الذي يُغيّر الناس فجأةً من حال الى حال ؟ !

المشهد السابع

السابقون — يرجع جوفروا

جوفروا : مات ، وعيناهُ الى السماء ، والفرح من قلبه يفيض . (للامير) ايها الامير ، اذنت لي ، فتممتُ بما يجبُ عليَّ ؛ فتنازل واقبل أحرَّ شكري . واني اسأل الله ان يُجزل لك الثواب !

الامير : ارى نفسي صغيراً أمام عظمتك ، يا كاهن ! اذهب ؛ فانت حُرّ ! (مشيراً الى موريس وايثون) اذهب مع ذويك . حيثما وجدتُ نفساً شريفة ، أديت اليها الاحترام .

جينور (لجوفروا) : وانا اتبعك الى حيثُ تقضي ؛ فمعك أريد ان احيا ، وأموت !

جوفروا : نفسان في يوم واحد ! ربّاه ! لك الشكر ! (صمت) ايثون ، اذا رجعتَ الى قصر روكلور ، أنت وموريس ، فاسألك ان تجثو عند قبر ابي ، وتقول له ان ابنه قد بدأ رسالته بالرحمة والغفران . . . ونفسُ ابي ، من أعلى السماء ، تتفهم ما تقول . (سكوت) وداعاً ، ايها الاحباب ! أنا ماضٍ مع جينور . (رافعاً عينيه الى السماء) اللهمَّ بعد هاتين النفسين اللتين وهبتنيهما ، متى تهبني نخبة الاستشهاد ؟ . . .